(شرح الصلاة العدّاسية)

الصلاة العدّاسية هي التي فُتحَت عليّ بفضل الله ورحمته. وهذا نصّها :

{اللهم ربّنا ،
صلّ وسلم وبارك على،
سيدنا محمد،
ومولانا أحمد،
العبد الكلّي،
والنبي الأمّي،
والرسول العربي،
وعلى آله الظاهريين والباطنيين من الأولين والآخرين،
وأنت خير الرازقين}.

وهذا أحد شروحها :

هي أربع مقاطع، كل مقطع من فصلين. فالمجموع ثمان فصول. فالأربعة عدد كلمات البسملة والحمدلة، وعدد العوالم الأربعة العزّة والجبروت والملكوت والملك، وعدد أركان الكعبة، وعناصر الطبيعة. ونور الصلاة على النبي يستمدّ من كل ذلك ويتجلّى في كل ذلك. والثمانية عدد أبواب الجنّة، التي تُفتَح بإذن الله ورحمته لمن علم وعمل بهذه الصلاة.

المقطع الأوّلى: النداء والدعاء.

الفصل الأوّل، نداء الحقّ تعالى من جهة ألوهيته الجامعة وربوبيته الشاملة. فتقول {اللهمّ ربّنا}، فقولك {اللهم} هو الله مع الميم، والميم إشارة إلى الجمع أي إلى الأسماء الحسنى كلّها، والميم أيضاً إشارة إلى محمد الذي هو الوسيلة الكبرى والرحمة المرسلة للعالمين التي بها رحم الله كل شئ. وقولك {ربّنا} إشارة إلى ربوبيته للعالمين، ف"نا" من {ربّنا} إشارة إلى العالمين وكل موجود، وأنت تدعو من قلب الوجود باسم كل موجود ونيابة عن كل موجود من حيث نطقك عن الروح الكلّية الجامعة للكل والكامنة في الكل.

وقولك {اللهم} إشارة إلى الله أي إلى البسملة من حيث اشتمالها على اسم الله. وقولك {ربّنا} إشارة إلى الحمدلة من حيث قوله "الحمد لله رب العالمين"، والقرءآن كلّه مجموع بين هاتين الكلمتين، وكل الكتب الإلهية كامنة فيهما، وهما كلمتان سمعتهما سمع خطاب وسمع تأثّر تكويني من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه بنفسي في الجنّة حين عُرِجَ بي إليه وجالسته في مجلس ضمّ ستّة أفراد أنا آخرهم وهو في وسطنا وكنّا كقاب قوسين وهو وسطنا.

الفصل الثاني، دعاء العبد وطلبه من الله، وهو قولك {صلِّ وسلِّم وبارك على}، فالصلاة إفاضة النور لقوله تعالى "هو الذي يصلّي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور"، والسلام هو أن يفضل عليه من النور ما لا يجعله يخرّ صعقاً ويندكّ جبل وجوده بالكلّية وهو

من قوله تعالى في موسى "فلمّا تجلّى ربّه للجبل جعله دكّاً وخرّ موسى صعقاً"، فنحن نحترز بذلك من أن يصيب النبي شيئاً يفني وجوده عنّا بالكلّية ويجعله غير ملتفت إلينا بسبب اختطاف الأنوار الإلهية له بالكلّية عنّا أو بأن يفنى وجوده أصلاً بسبب شدّة التجلّي النوري الإلهي فنطلب له السلامة بسبب الصلاة، ثم نطلب البركة وهي الخير الدائم النامي، أي أن يُعطى من النور ما يكون فيه خير له ولنا، وأن يدوم هذا الخير إلى الأبد، وأن ينمو ويزداد كيفاً وكمّاً وشكلاً ونوعاً ولوناً إلى ما لا نهاية من التغيرات المناسبة لأحوالنا وأن يُبسَط لنا في كل ذلك ويُبسَط لنا في استعدادنا لقبول ذلك النور. وقولنا {على} والوقوف عندها من أدب تلاوة هذه الصلاة، تنبيه على أمور، منها التوازي بين "ربّنا" و "على"، فعلى هنا توازي "نا" هناك، وكما أن "نا" تشير إلى العالمين وكل موجود، ف"على" تنبيه على الموجود الأول والوسيلة الكبرى والخليفة المطلق في الموجودات كلّها، ومنها التنبيه على المقام الغيبي الأصلي للحقيقة المحمدية، فنحن نقول {على} ونقف قبل التعريف وذكر الأسماء النبوية، حتى نتذكر بأن حقيقته الأصلية غائبة عنّا ولا ندركها وهي أشرف من أن ندركها، فهو غيب مجهول لنا من حيث حقيقته ولم نعرفه إلا بقدر خاص وبلغة خاصّة بنا وبحسب حدودنا، فالنبي أعلى من أن ندركه على ما هو عليه، لذلك نقول {على} ونقف عندها وقفة لنغيب في غيبه، ونفنى في بحره، ونستشعر سرّه المكتوم. فالعالمين شهادة، لكن النبي غيبها. والعالمين مظاهر، والنبي جوهرها. والعالمين ظلال، والنبي أصلها. لذلك قولنا {ربّنا} في نهاية الفصل الأوّل، يوازي قولنا {على} في نهاية الفصل الثاني. وبدعاء {صلّ وسلم وبارك} نعترف بأننا

أتباع النبي وجوداً وبقاءً وسعادةً، ونعترف بأنه الوسيلة في حصول الخير لنا من لدن الله تعالى، ونعترف أيضاً بأن النبي عبد الله ورسوله ولا يوجد نعمة عند النبي إلا وهي من لدن الله تعالى لا غير فالنبي فقير فقراً مطلقاً إلى الله تعالى ولا يملك لنفسه بنفسه ولا لغيره بنفسه من دون الله ذرّة فما دونها، لذلك نسأل الله له الصلاة والسلام والبركة ونعلم بذلك أن ما يفيضه علينا النبي إنما ورد إليه من ربّه جلّ وعلا وليس من ذاته بذاته في حدود ذاته المستقلّة عن ربّه. فتمام "لا إله إلا الله" و "محمد رسول الله" في هذا المقطع. فوحدة الفيّاض والفيض والمفيض والمُفاض عليه في هذا المقطع، فلا فيّاض إلا الله، ولا مُفيض إلا النبي، ولا فيض إلا فيض الله على النبي وفيض النبي على الخلق، والمفاض عليه وهم الموجودات كلّها سلك واحد من العباد "إن كل مَن في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً".

المقطع الثاني: أسماء الوسيلة.

الفصل الأوّل، {سيدنا محمد}، الفصل الثاني {ومولانا أحمد}.

السيادة بالشريعة والظاهر، والمولوية بالطريقة والباطن. فمحمد اسم حقيقة النبي حين تظهر في العوالم الظاهرة والملك ولها النعم الرحمانية الخلقية الجزئية وفي العالَم الإنساني تظهر بالشريعة وأحكام الفقه وسنن الأدب الجسماني والاجتماعي. وأحمد اسم حقيقة النبي حين تظهر في العوالم الباطنة والملكوت ولها النعم الرحيمية الكونية الكلّية وفي العالَم الإنساني تظهر بالطريقة والعلوم العرفانية والأذكار الخاصّة بأهل الله والأدب مع مظاهر نور الله وأوليائه في العالَم العلوي والسفلي.

عيسى بشّر باسم أحمد، "رسول يأتي من بعدي اسمه أحمد"، فلمّا ذكره باسمه "أحمد" وهو لم يظهر بعد في الأرض، دلّ ذلك على أنه اسمه في السماء، في الغيب. لذلك نُسبَ أحمد إلى الحقيقة الباطنة. وكذلك لأن عيسى له الباطن كما أن لموسى الظاهر بحسب أحد الاعتبارات.

لمّا ذكر "محمد رسول الله" في آخر السورة قال "والذين معه أشدّاً على الكفار رحماء بينهم"، فذكر محمداً وهو في الأرض ومع الناس وفي عالَم الخلق والأضداد حيث يوجد المؤمن والكافر، ويختلط الخير مع الشرّ، ويجتمع الناس وتتداخل الأمور، وهو حال الدنيا وعالَم الظاهر، لذلك كان اسم محمد للظاهر.

السيادة خدمة، والمولوية نعمة. أمّا السيادة فلقول النبي صلى الله عليه وسلم "سيد القوم خادمهم"، فمحمد هو الذي يخدم عالَم الظاهر ويعالج مصالح الناس ويصلح الطبيعة والمجتمع بقدر استطاعته وبأحكام شريعته، والخدمة قيام على العاجز عن شئ أو الضعيف عنه بما يصلحه، وهذا حال ظاهر الناس في الأرض من حيث حاجتهم إلى معرفة المصالح الدينية والدنيوية المقيدة بالدين. أمّا المولوية فلقول النبي "الولاء لمن أعتق"، أي أعتق من العبودية، والطريقة الباطنية كلّها عتق من رقّ الأكوان وتحرر من قيد الظلمات والطبيعة والجسمانية والبشرية، وأحمد هو الذي يعتق الناس من ذلك بسرّ الكلمة الإلهية والقوّة التي أعطاها إيّاه ربّه بقوله "لتخرج الناس من الظلمات إلى النور"، فهو مولانا لأنه

أعتقنا من رقّ الأكوان وحررنا من قيد الطبيعة بنور علم الباطن والرفع إلى الأفق الأعلى وفتح باب الحضرة الإلهية بمفتاح روح القرآءن.

محمد وأحمد يوصل إلى مقام الحمد. والحمد نهاية العلم والسعادة. لأنه لا يحمد العبد إلا بعد استشعار النعمة وحصول الخير وتحقق اليقين. لذلك "حمد" كامنة في اسم محمد واسم أحمد، والفرق بينهما في أوّل حرف. فأوّل محمد الميم، وأوّل أحمد الألف، وقد عرفنا من "اللهم" أن الميم إشارة إلى الجمع والكثرة ولو في مفهوم العباد وتحليل عقولهم، والألف إشارة إلى الوحدة والأحدية، وكذلك هو الفرق بين المقام المحمدي الذي يشير إلى كثرة الخلق، والمقام الأحمدي الذي يشير إلى وحدة الحق. فمحمد يُعرِّف النعم الظاهرة وتجليات الأسماء الإلهية في الكثرة الطبيعية، وأحمد يُعرِّف النعم الباطنة وحقيقة الهوية الإلهية المافوق طبيعية. وظهور النور المحمدي والأحمدي في النفس يتمّ استشعار الحمد والتحقق به فعلاً وحالاً ثم قولاً بـ"الحمد لله". فآية "الحمد لله" تشير إلى وجهين، وجه يدلّ على أن فاعل الحمد هو الله، فقولك "الحمد لله" يعني أنك تقرّ بأن فاعل الحمد هو الله فقط ولا ينبغي القيام بالحمد إلا لله، وهذا هو الوجه الأحمدي، الذي يشير إلى أحدية الفاعلية في الوجود وأن لا فاعل إلا الله لكل خير ولكل وجود. الوجه الآخر يدلّ على أن موضوع الحمد هو الله، فقوله "الحمد لله" يعني أنك تقرّ بأنه لا يستحقّ الحمد إلا الله، وهذا شهود لرجوع كل خير في الوجود إلى ذات الله وأسمائه تعالى، وهو الوجه المحمدي الذي يُرجع الكثرة إلى الوحدة.

فأحمد يجعلك ترى الوحدة مُبدئة للكثرة، ومحمد يجعلك ترى الكثرة راجعة للوحدة، فتمّ القوسين واكتملت النعمتين.

المقطع الثالث: مقامات النبي.

في المقطع الثاني دلالة على الحقيقة النبوية من حيث تعاليها وتنزيهها والأصل الأعلى لها. أو عزّتها. لكن في هذا المقطع ذكر لمقامات تنزّل الحقيقة النبوية في العوالم الثلاثة الكلّية، الروح والنفس والجسم، أو العرش والسماء والأرض. لذلك نقول {العبد الكلّي، والنبي الأمّي، والرسول العربي}. فهو العبد الكلّي في عالَم الروح وعند العرش، وهو النبي الأمّي في عالَم النفس وفي السماء، وهو الرسول العربي في عالَم الجسم وفي الأرض.

وجه آخر هو أن الأوصاف الثلاثة هنا تعريف للنبي من حيث ظهوره الأرضي. فهو العبد الكلّي من حيث قول الله عنه "عبد الله" و "أنزل على عبده الكتاب"، فهو عبد اسم الله وهو عبد الهوية الإلهية، فلا يرى لنفسه وجوداً منفصلاً عن وجود الله، ولا يرى لنفسه كمالاً منفصلاً عن أسماء الله، وعقله من وحي الله، وإرادته مسلمة لأمر الله، وهو تمام العبودية، فعبوديته كلّية غير جزئية، أي لم يكن عبداً لله أحياناً وعبداً لهواه ونفسه أحياناً أخرى، بل أخلص عبوديته لله تعالى مطلقاً، علماً وعملاً. وهو النبي الأمّي من حيث قول الله عنه "النبي الأمّي"، ونبوّته إشارة إلى العلم الذي أوحي إليه أي الأنباء وهي الإخبار عن الوجود والعدم بالحق وبما هو مطابق للواقع، وهو أمّي بمعنى لم يتعلّم إلا من أمّ

الكتاب، ولم يأخذ علمه من بشر صادق ولا كذّاب. وهو الرسول العربي من حيث قول الله عنه "يأيها الرسول" و "ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه" وقال "بلسان عربي" ، فهو الرسول العربي لقومه العرب برسالة عربية وهذا أصلها. والرسول إشارة إلى الأحكام والأوامر التي جاء بها بما يتطابق مع إرادة الله ورضاه، كما قال "يأيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" وقال "من يطع الرسول فقد أطاع الله". فجمعت بقولك {العبد الكلّي والنبي الأمّي والرسول العربي} معرفته صلى الله عليه وسلم من حيث مقامه العرفاني ومقامه الإنبائي ومقامه التشريعي، أي حاله مع الله وحاله مع عباد الله، فهو مع الله عبد كلّي، ومع عباد الله نبي أمّي ورسول عربي، وليس وراء ذلك مقام كمالي لإنسان لا مع الحق ولا مع الخلق. فالفصل الأوّل هو {العبد الكلّي} والثاني {والنبي الأمّي} والثالث {والرسول العربي}.

<u>المقطع الرابع: ورثة النبي.</u>

لأن للنبي ورثة ومظاهر وامتدادات في الخلق، فهو مركز وشمس وهم دوائر وأقمار، كما قال الله "وورث سليمان داود" و قال "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا"، وقال "أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم" وقال "لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى" وقال "ءات ذات القربى حقّه والمسكين وابن السبيل"، وآيات كثيرة في الباب، كل ذلك يشير إلى استمرارية وجود نور النبي في الأمّة بأنحاء مختلفة تتناسب مع العوالم التي يوجد فيها

هذا النور بحكم "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" فله في كل عالَم رحمة ومظاهر يُمدّون أهل ذلك العالَم بالرحمة التي أُرسِلَ بها. وللتنبيه على هذا الأمر نقول في الفصل الأوّل-حسب قراءة-{وعلى آله} وهم مَن يؤول أمرهم إليه، فهم منه وإليه، وهم ظلّه الممتد على من سواهم من الخلق، فهم {الظاهريين} وهم الذين انتسبوا إليه من حيث جسمه أي ذريته الجسمانية، وكذلك الذين انتسبوا إليه من حيث شريعته أي أتباع أحكامه الفقهية. {والباطنيين} وهم الذين انتسبوا إليه من حيث روحه أي ذريته الروحانية، وكذلك الذين انتسبوا إليه من حيث طريقته أي أتباع أذكاره العرفانية. فهنا الإشارة عمّت كل ظاهر وكل باطن، أي كل نوراني وكل ما له ذرّة من نور فما فوق من الموجودات الظاهرة والباطنة، الملكية والملكوتية، الشهادية والغيبية، وذلك يعمّ في الحقيقة كل موجود بلا استثناء إذ "من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور" ولا يخلو موجود من نور ولو ذرّة فما فوق ولذلك قال الله "إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها" أي فما فوقها في الصغر والحقارة في اعتباركم القاصر، والسبب أن الحق يتجلّى في كل الموجودات فهي كلّها أمثال له بوجه أو بآخر، عرف ذلك من عرفه وأنكره مَن حُرِمَ منه، ومن هنا نجد الله يضرب مثلاً لنوره المقدّس المتعالي بمشكاة وزجاجة هذا والزجاج يُصنَع من الرمل وهو التراب وهو أسفل الموجودات، فحتى الرمل يُضرَب به لنور الله المثل فاعقل. وعلى ذلك آل النبي على الحقيقة هم كل الموجودات مطلقاً على التحقيق، أو للدقّة هم كل نور موجود في كل موجود، فهذا النور هو من آل النبي بغض النظر عن بقية الظلمات

الممتزجة مع هذا النور والتي ليست من النبي إذ "مَن تبعني فإنّه مني" وبما أن ذلك النور تابع لنور النبي فهو من النبي فهو من آله. ذلك نقول بعدها {من الأولين والآخرين} أي من أول موجود إلى آخره، ومن أوّل الزمان إلى آخره، ومن السابقين واللاحقين، من الأزل إلى الأبد، كل ظاهر وباطن نوراني في ذلك هو من آل النبي.

والفصل الثاني هو عودة إلى الفصل الأوّل من المقطع الأوّل أي {وأنت خير الرازقين} فهذه الصلاة في الحقيقة طلب لرزق مخصوص من الله تعالى، لذلك نتوسّل باسم خير الرازقين فيها، وكذلك فيها إشارة إلى الروحانية العيسوية إذ دعاء اللهم ربّنا وأنت خير الرازقين هو دعاء عيسى في المائدة، فنحن نسأل أيضاً بهذه الصلاة مائدة نورانية لذلك قدوتنا فيها عيسى بن مريم عليه السلام، وهي إشارة إلى ختم الولاية العامّة أيضاً. ومن وجه آخر، ذكرنا لخير الرازقين تنبيه على وجود درجات في ظهور النور الإلهي في العالَم، وهو الحجّة على وجود مظاهر وآل للنبي الذين يحملون هذا النور ويفيضوه بدرجات مختلفة بحسب مراتب العالم المتعددة، فهي الحجّة القرءآنية على صحّة وجود الآل، لأن الله قال "خير الرازقين" مما يدلّ على وجود "الرازقين" الكثر، لكن الرازق حقيقة هو الله وحده، إلا أن الله أمرنا بأن نرزق كما قال "فارزقوهم"، فدلّ على ظهور الاسم الإلهي في مظاهر مختلفة وكثيرة في العالَم، وكل رازق من الخلق يرزق بقدر ما أُوتي من الرزق من لدن الرزاق تعالى "لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها"، وحيث أن أصل الإفاضة على النبي ومن النبي على

الخلق، كان كل مالك لشئ من الكمالات في الخلق تابعاً للنبي وهو من آله، وهو المطلوب إثباته بهذه الحجّة.

يمكن قراءة المقطع الأخير كفصل واحد هو {وعلى آله الظاهرين والباطنيين من الأولين والآخرين وأنت خير الرازقين} وعلى هذه القراءة تكون الصلاة مكوّنة من ثمانية فصول، وهو عدد شفعي زوجي يدلّ على أبواب الجنّة الثمانية، والتي هي أيضاً أعضاء التكليف الثمانية القلب والعين والسمع واللسان واليد والرجل والفرج والمعدة. لكن يمكن قراءته كفصلين بحيث يكون ذكر الآل فصل وذكر الاسم الإلهي فصل ثانٍ، فيصبح المجموع تسعة فصول، وهو عدد وتري فردي يدلّ على نهايةَ العدد الفردي المكوّن من الواحد إلى التسعة وهو إشارة إلى تقديس العدد وربطه بالنور الأعلى وبحيث لا يُرى العدد إلا في ضوء الأحد، ولا يُرى الكمّ إلا كتابع للكيف المقدّس، وهو بحد ذاته حرز من ضلال المادّيين ودرع ضدّ النزعة الجهنّمية القائلة "هل من مزيد" كمّاً دون كيف. فالصلاة إذن قابلة لقراءة شفعية ووترية، وعلى الوجهين فيها خير والحمد لله رب العالمين.

...–...